

## الفصل الثالث

### الاستنتاج والاستدلال من المصادر التاريخية

#### Deductions and inferences from sources

يكشف المؤرخون الحقائق التاريخية عن الماضي من خلال طرح الأسئلة وتقديم الاستدلالات من المصادر التي تساعد على الاستنتاج من الآثار التاريخية المختلفة والمتبقية من الماضي مثل: المباني والمواقع التاريخية، الصور، التحف أو القطع الأثرية والوثائق المكتوبة ومعرفة كيف تم إنشاؤها؟ ولماذا؟ وكيف تم استخدامها؟ وماذا كانت تعنى بالنسبة لمن صنعوها واستخدموها؟.

وتكون المصادر التاريخية في بعض الأحيان غير مكتملة ولا نستطيع معرفة المرحلة التاريخية التي تشير إليها، فالعظام التي وجدت في العصر البرونزي؛ على سبيل المثال؛ هل يفترض أنها تخص مقابر الناس الذين عاشوا في تلك الفترة الزمنية أم أنها زخرفة أو شئ رمزي؟، ولذلك فإنه من الممكن الافتراض والوصول للعديد من الاستدلالات حول المصدر الواحد، وتؤكد صحة الاستدلالات إذا ما تطابقت مع أحداث المرحلة التاريخية، وإذا ما عكست تفكير وتصرفات الناس الذين عاشوا في تلك الفترة الزمنية، ولذلك فمن الضروري تدعيم الافتراضات بالعديد من المناقشات والآراء، وكذلك الاستماع إلى آراء ومناقشات الآخرين، ولكن إلى أي درجة يستطيع الأطفال الصغار القيام بالاستنتاج وتقديم استدلالات من المصادر التاريخية المختلفة، وتدعيم هذه الاستدلالات بالمناقشات والاستماع إلى اقتراحات الآخرين؟.

#### التفكير الاستدلالي Thinking inferential

وفقا للتتابع الذي افترضه بياجيه عن النمو المعرفي للطفل، فإن عملية التفكير لدى الأطفال الصغار تعتمد على أسلوب المحاولة والخطأ، و تعتمد كذلك على خبراتهم ومشاعرهم الخاصة، وبالتدريج يكتسب الأطفال المعلومات عن العالم الواقعي والمرئي الذي يعيشون فيه، وفي بعض الأحيان يكون الأطفال في حاجة إلى ضبط العملية العقلية الخاصة بهم لاستيعاب وتقبل المعلومات الجديدة، وكما يقول بياجيه ١٩٥١ فإن تنمية وعي الطفل بصفة مستمرة بما ينبغي معرفته وما هو مفترض من الناحية المنطقية له تأثير على تفكيره، ومن خلال اهتمام بياجيه بمجال اللغة ١٩٦٢ ومجال المنطق ١٩٨٢ فقد تناول كتابيه في هذين المجالين نمو القدرة المعرفية لدى الطفل خلال مرحلتين:

## المرحلة الأولى:

و فيها لا يهتم الطفل بأراء الآخرين ولا يدركها، وبعد ذلك تنمو لديه العمليات العقلية الواقعية أو الوصفية، والتي تجعل تفكير الطفل يتسم بالمنطقية بعض الشيء، ولكنه لا يستطيع التعبير عنه بوضوح، ومن خلال تتابع حدوث هذه العملية الفكرية الأولية لدى الطفل؛ فإنه يبدأ في عمل استنتاجات واستدلالات مختلفة من المعلومات التي حصل عليها، ولكن تفسير الطفل لتلك الاستنتاجات والاستدلالات يكون ضمنيا إلى حد ما.

## المرحلة الثانية:

و فيها يحاول الطفل توضيح وتبرير استخدامه لأدوات الربط مثل "لذلك" أو "لأن"؛ وذلك حتى يتمكن من الربط بين الأحداث للتعبير عن علاقة منطقية حقيقية، ولكنه لا ينجح في القيام بذلك، وفي نهاية الأمر ومن خلال المحاولات المستمرة من جانب الطفل لتبرير رأيه وتجنب المعارضة، كنتيجة للصراع الداخلي؛ يصبح الطفل قادراً على فهم واستخدام كلمات مثل "لأن" أو "لذلك" بطريقة صحيحة، ويصبح قادراً أيضاً على ربط الحجة بفرضيتها أو فكرتها الأساسية، في حين يرى البعض الآخر بأن قدرة الطفل على الاستنتاج والاستدلال تتأثر باهتمامه واندماجه في الموقف وفهمه لنوع التفكير اللازم.

ولقد قامت دونالدسون (Donaldson,1978) بفحص الفارق بين رأيها عن قدرة الطفل على التفكير الاستنتاجي في مواقف حياته اليومية العادية، وبين استنتاج بياجيه بأن الأطفال الصغار لديهم قدرة ضئيلة أو قليلة على التفكير الاستنتاجي، ولقد وجدت دونالدسون بأن الأطفال الصغار لديهم قدرة على التفكير الاستنتاجي الذي يعتمدون عليه في حل مشكلاتهم إلى جانب قدرتهم اللغوية؛ حيث أن نمو اللغة عند الطفل مرتبط بالعديد من العمليات العقلية الأخرى التي تؤثر على قدرته على حل المشكلات المختلفة. ولقد وجدت أيضاً أن الأطفال يعتقدون بأن عملية التفكير صعبة لأنه نادراً ما يناقش معاني الكلمات، وبالتالي لا تتوافر لديهم القدرة على استخدام الألفاظ اللغوية التي تساعدهم على حل مشكلاتهم، وتختتم كلامها قائلة: "بأن قدرة الطفل على الاستنتاج والتفكير الاستدلالي يعتمد على درجة اهتمام الطفل بالموقف أو المشكلة، وهل هو اختياري أم فرض عليه، كما أنه تعتمد أيضاً على توقعات الطفل بما يقصده السائل من سؤاله، أو ما يطرحه السائل على الطفل من أسئلة".

ولقد وجدت رايت (Wright, 1984) بأن الأطفال في عمر السابعة يمكنهم رسم استنتاجاتهم من الأناشيد وأغاني الأطفال التي يرددونها، وهناك العديد من الأدلة على أن

الطفل في سن الثامنة يمكنه تعلم كيفية تقديم أدلة كاملة أو استدلالات معقدة عن الآثار، والصور، والمخططات الأثرية، والخرائط، والوثائق المكتوبة (Cooper, 1997).

وحتى الآن؛ فإنه لا توجد دراسة فعلية عن قدرة الأطفال الصغار على تقديم استدلالات من المصادر التاريخية، ولكن هناك وعياً متزايداً بأن الأطفال الصغار يمكنهم طرح أسئلة حول المصنوعات اليدوية من الحياة اليومية في الماضي؛ حيث تعبر هذه المصنوعات أو الرموز عن الماضي سواء أكانت تلك الرموز مرئية أو مسموعة أو ملموسة أو حتى يستطيع الطفل أن يشمها. وفي كتاب (المتاحف تحت سن الخامسة) لأبيرون بريدج Ironbridge George قدم اقتراحات مفيدة عن "متحف أيرون بريدج" والذي يمكن استخدامه لمساعدة الأطفال قبل سن المدرسة في عمل استنتاجات واستدلالات عن الماضي، ومحاولة فهم طبيعة النظم المختلفة في مرحلة مبكرة حتى يتمكنوا من فهم كيفية استخدام اللغة.

## المناقشة Discussion

إن الحوار الذي يسمح للأطفال بالاستنتاج والاستدلال، وبخاصة ذلك الحوار الذي يمكنهم من اختيار الإجابة الصحيحة ومناقشة الأسباب والنتائج المتعلقة بالقصص يعد أمراً ضرورياً لتنمية الفهم التاريخي Historical understanding ، ولقد أكد لي (Lee, 1984) بأن القدرة على توليد أو خلق عدد من المقترحات يجعل القدرة على التخيل التاريخي أمراً ممكناً.

ويمتلك بعض أطفال ما قبل المدرسة العديد من الفرص للتفاعل مع بعضهم البعض أكثر من التفاعل مع الكبار، وهناك العديد من الكتابات التي كتبت عن أهمية اللغة المنطوقة في نمو القدرة اللغوية لدى الطفل وأهمية التفاعل الإجتماعي منذ الميلاد (Burner, 1983). ولقد اعتبر دوزي (Doise, 1975; 1978) أن النمو المعرفي لدى الطفل يعتبر نتيجة لمروره بمرحلة اختلاف وجهات النظر أو للتفاعل بين المستويات المعرفية المختلفة؛ وذلك على الرغم من عدم وجود مقياس حساس لقياس أثر التفاعل الإجتماعي على النمو المعرفي، ولقد استنتج لايت (Light, 1983) أنه سيكون هناك نمواً سريعاً في فهمنا لهذه الموضوعات.

يتوافر لدى معظم الأطفال في المنزل فضلاً عن المدرسة مزيداً من الفرص للحديث مع الكبار والدخول معهم في مناقشات وتوجيه أسئلة مفتوحة النهاية والتمهيد

للمناقشة، وهذا يرجع إلى وجود طريقة تعامل مختلفة في المدرسة بين الأطفال والكبار، كما توجد العديد من العلاقات الاجتماعية المختلفة.

ولقد أوضح كل من ماكليور وفرنش (Maclure & French, 1986) بأن قدرة الطفل على التواصل مع الوالدين تكون أكبر من قدرته على التواصل مع المعلمين في المدرسة، وهناك استمرارية أو تواصل أكبر بين أنماط التفاعل اللغوي في المنزل والمدرسة فضلا عما تم افتراضه، وفي بعض الأحيان يقوم كل من الآباء والمعلمين بتوجيه بعض الأسئلة ذات النهاية المحددة والمعروف إجابتها لدى الأطفال وذلك بهدف تنشيط قدرة الطفل على الفهم، والتي منها على سبيل المثال: "بعد الربيع يأتي...؟"، وبعد الصيف يأتي...؟"، وبالتالي فكم عدد فصول السنة كلها؟" (Wells, 1976). ولكن في المدرسة يتم تشجيع الأطفال على تقديم الاقتراحات.

ولقد وجد كل من ماكليور وفرنش (Maclure & French, 1986) أن المعلمين عندهم رغبة أكبر من الآباء والأمهات في قيام الأطفال بتقديم تفسيرات بديلة بدلا من مجرد الاكتفاء بتصحيح الأخطاء لهم، وهم يفعلون ذلك غالبًا من خلال توجيه الأسئلة لكل طفل على حدة، وهذه الأسئلة تتعلق بالجمال التي قدمها المعلم في بداية الدرس، وهو ما يتطلب من الطفل الانتباه الشديد حتى يتمكن من المشاركة في كل الأفكار، ويمكن أن تبدأ المناقشة بسؤال حول البيئة الفيزيائية والتي يكون لها رد فعل إيجابي، ومن ثم فإن مجال المناقشة سوف يتسع نطاقه، أو أنهم سيبدأون بخبرة أو تجربة مشتركة مثل "هل نظرت بالداخل؟"، "ماذا رأيت؟".

يحتاج الأطفال إلى تعلم أنواع الأسئلة حتى تنمو لديهم القدرة على توجيه الأسئلة وكذلك معرفة الطرق المناسبة للإجابة عنها، ويأخذوا دورهم في توجيه الأسئلة، وهناك أدلة على أنهم إذا ما تعلموا ذلك فإن كلام الأطفال مع بعضهم البعض ومع أنفسهم سيكون له معنى ومغزى أكبر من الكلام مع الكبار (Prisk, 1987).

ويمكن للمناقشة ذات النهاية المفتوحة في المدرسة أن تبني وتوسع أنماط التفاعل اللغوي في المنزل، والتي تمكن الطفل من تعلم الحديث مع الآخرين بطريقة هادفة ومركزة ودون مساعدة أو دعم مستمر من الكبار، فهم يتعلمون المشاركة في الأفكار عن الكيفية التي بنيت بها المعالم التاريخية والتحف، وكيف تم استخدامها، وكيف كان لها تأثير على حياة الناس، كما يمكنهم تأليف ومقارنة القصص التي تشرح الصور الفوتوغرافية و التحف والتمائيل والمعالم الأثرية المختلفة.

## الجزء الثاني

### التاريخ خلال الثلاث سنوات الأولى من المدرسة

#### History during the first three year of school

لقد سبق وأن أشرنا في الجزء الأول إلى أن الأطفال في بداية مرحلة المدرسة يكون لديهم القدرة على التفكير التاريخي ولكن بطريقة غير ناضجة، كما يتوافر لديه بعض الوعي والإدراك بمرور الزمن، وأسباب ونتائج الأحداث المتتابعة، وكذلك الوعي بالاختلافات بين الأزمنة الماضية وبين الحاضر، كما يصبح لديهم القدرة على إدراك وتقديم التفسيرات للقصص، وكذلك القدرة على التفكير الاستدلالي في مواقف حياتهم العادية.

وفي هذا الجزء سنوضح كيف يمكن للمعلمين تنمية قدرة الأطفال على التفكير التاريخي ومساعدتهم على الوعي بالماضي الذي مروا به قبل دخولهم المدرسة، وسنحاول تقديم طرق تنمية التفكير التاريخي لدى الأطفال والتي سبق وأن عرضناها في الجزء الأول من هذا الكتاب، وكذلك سنقوم بتقديم بعض الأنشطة المتصلة بموضوعات محددة تهم الطفل، وسوف نناقش كيفية القيام بذلك في الجزء الثالث من الكتاب ويتضمن هذا الجزء مايلي:

**أولاً:** كيفية تنمية فهم الأطفال لمفاهيم التغيير

**ثانياً:** كيفية مساعدة الأطفال على تعلم لماذا يختلف الماضي عن الحاضر.

**وأخيراً:** كيفية تعلم الطفل عن الماضي من خلال المصادر المختلفة ومن خلال آثار الماضي التي لا تزال قائمة.

فمنذ أن تم التعامل مع التاريخ على أنه مادة تعليمية، تغيرت النظرة لطبيعة التاريخ وأصبح التركيز ينصب على كيفية الوصول إلى أكبر قدر من المادة التعليمية وعلى الطرق التي يتعلم بها الأطفال التاريخ، على الرغم من أن الجهود التي بذلت مؤخراً والتي تم التعرف عليها قد ركزت على تعليم الأطفال الحقائق التاريخية والتي تفوق قدرتهم على الاستيعاب في بعض الأحيان.

ولقد أظهرت دراسة HMI أن المادة التعليمية التاريخية يمكن تقديمها للطفل بشكل تلقائي من خلال المنهج ابتداء من عمر (٤ - ٧ سنوات)، أو تكوينها بطريقة غير مخطط لها

(DES, 1998). فموضوعات مثل "قريتنا"، "الناس الذين يساعدوننا"، "المنازل"، "العادات"، "وقت الفراغ" و "المواصلات" تكون متكررة، ولكن الأنشطة المرتبطة بها تجعل الأطفال على وعى بنواحي الحياة الماضية، ولقد توصلت هذه الدراسة إلى أن مصدر المادة التعليمية التاريخية هو "الأخبار" أو "برامج التلفزيون" أو تلك المرتبطة بالأحداث المحلية أو العالمية.

ويرى قليل من المعلمين أهمية اختيار الموضوعات لتقديم المادة التعليمية التاريخية من خلال الأنشطة المقدمة للأطفال الصغار وبناء صورة تاريخية ملائمة وذات معنى ومغزى لديهم. ولقد أظهرت دراسة (DES, 1998) ضرورة الاعتماد على التوثيق مع وجود أهداف واضحة، وباختصار فهم المعلمين لطبيعة التفكير التاريخي وكيفية التواصل معه وبنائه من خلال معرفة الأطفال الحالية وفهمهم من خلال أنشطة التعلم.